

من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)

في الآداب



صورٌ من برِّ الوالدين

١٥

دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

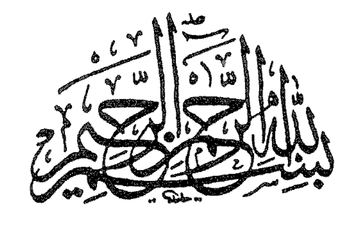
صور من بر الوالدين

من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب



إعداد
عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة و مشكولة

1421 هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب : 78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا في الرِّسَالَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ حُقُوقَ الوَالِدَيْنِ وَمَا يَجِبُ عَلَى الوَلَدِ تِجَاهَهُمَا ذَكَرتُ مَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنْ عُقُوقِ الوَالِدَيْنِ وَدَعَمْتُهُمَا بِمَا يُنَاسِبُ مِنَ الأَدِلَّةِ وَالشَّوَاهِدِ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيْمَةِ، وَالأَحَادِيْثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيْفَةِ، خَطَرَ لِي أَنْ أُرْدِفَهُمَا بِرِسَالَةٍ ثَالِثَةٍ تَكُونُ مُوَضِّحَةً وَمُكَمِّلَةً لَهُمَا، وَمُشَجِّعَةً عَلَى القِيَامِ بِبِرِّ الوَالِدَيْنَ، وَمُخَوِّفَةً مِنْ عِصْيَانِهِمَا وَعُقُوقِهِمَا، وَمُبَيِّنَةً جَزَاءَ الإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، أَلاَ وَهِيَ [صُورٌ مِنْ بِرِّ الوَالِدَيْنِ] لَعَلَّ أَبْنَاءَ المُسْلِمِيْنَ يَتَأَثَّرُونَ بِهَا وَيَقْتَدُونَ بِأَصْحَابِهَا فَيَكُونُونَ مِنَ المُسَاهِمِيْنَ في بِنَاءِ المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ الفَاضِلِ الَّذِي تَسُودُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ عَلاَقَاتُ الحُبِّ والوُدِّ وَالتَّعَاونِ وَالإِيْثَارِ، وَيَدْخُلُونَ تَحْتَ مَعْنَى قَولِهِ تَعالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١) وَإِلَيْكَ هَذِهِ الصُّوَرَ:

١ ـ جَاءَ في القُرآنِ الكَرِيْم شَوَاهِدُ كَثِيْرَةٌ مِنْ صُوَرِ بِرِّ الوَالِدَيْنِ تُبَيِّنُ آثَارَ هَذا البِرِّ، وَتُعْطِي أُكُلَهُ وَثِمَارَهُ خَيْراً عَلَى الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ مِنْهَا مَا جَاءَ في سُورَةِ البَقَرَةِ في سِيَاقِ حَدِيْثِهَا عَنْ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ حَيْثُ قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْرَفْ قَاتِلُهُ وَكَادَ الشَّرُّ يَقَعُ بَيْنَهُمْ، فَجَاءَ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيهِ

---

(١) الآية /١١٠/ من سورة آل عمران.

السَّلامُ أنْ يَأمُرَ قَومَهُ بِذبْحِ بَقرَةٍ وَلكِنّهُمْ تَرَدّدَوا في تَنفِيْذِ الامْرِ
وَحَاوَلُوا الهُرُوبَ مِنْهُ بِوَضْعِ العَرَاقِيلِ وَالحُجَجِ الوَاهِيَةِ، قَالَ
تَعالىَ في سُوْرَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن
تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ
ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ
إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(1).

المَبَاحِثُ العَرَبِيّةُ

(لَّا فَارِضٌ) لَيْسَتْ بِمُسِنَّةٍ، (وَلَا بِكْرٌ) صَغِيْرَةٌ

(عَوَانٌۢ) نَصَفٌ، أَو وَسَطٌ بَيْنَهُمَا.

(فَاقِعٌ لَّوْنُهَا) لَونُهَا أَصْفَرُ شَدِيْدُ الصُّفْرَةِ.

(لَّا ذَلُولٌ) غَيْرُ مُذَلَّلَةٍ بِالعَمَلِ.

---

(1) الآيات / ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١/ من سورة البقرة.

(تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ) تَقْلِبُهَا لِلزِّرَاعَةِ.

(وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ) أَيْ لاَ تُسْتَخْدَمُ لِسَقْيِ الزَّرْعِ. لأَنَّهَا كَانَتْ وَحْشِيَّةً، وَلِهَذَا وَصَفَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهَا لاَ تُثِيرُ الأَرْضَ، وَلاَ تَسْقِي الحَرْثَ.

(مُسَلَّمَةٌ) خَالِيَةٌ مِنَ العُيُوبِ وَآثَارِ العَمَلِ.

(لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ) لَيْسَ فِيْهَا لَونٌ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَونِهَا، فَهِيَ صَفْرَاءُ كُلُّهَا لاَ بَيَاضَ فِيْهَا وَلاَ حُمْرَةَ وَلاَ سَوَادَ.

قَالَ المُفَسِّرُونَ: فَبَحَثُوا عَنْهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ الفَتَى البَارِّ بِأُمِّهِ فَاشْتَرَوْهَا مِنْهُ بِمِلْءِ جِلْدِهَا ذَهَباً.

وَفِي الحَدِيثِ: لَو ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ لأَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

وَذَلِكَ لِيُكَافِىءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الفَتَى جَزَاءَ بِرِّهِ بِأُمِّهِ وَقِيَامِهِ بِخِدْمَتِهَا وَالسَّهَرِ عَلَى رَاحَتِهَا، وَعَدَمِ مُخَالَفَتِهِ أَوَامِرَهَا.

وَحَاصِلُ القِصَّةِ كَمَا ذَكَرَهَا المُفَسِّرُونَ:

أَنَّ أَبَا ذَلِكَ الفَتَى كَانَ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ قَدْ دَنَا أَجَلُهُ وَحِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَكَانَ عِنْدَهُ بَقَرَةٌ قَدْ وَلَدَتْ أُنْثَى فَأَخَذَ تِلكَ الأُنْثَى وَوَضَعَهَا فِي غَيْضَةٍ وَأَوْصَى امْرَأَتَهُ أَنْ تُعْطِيَ وَلَدَهُ تِلكَ البَقَرَةَ حِينَ يَشِبُّ وَيَكْبَرُ، ثُمَّ مَاتَ الرَّجُلُ، فَجَعَلَ

وَلَدُهُ يَعْمَلُ بِقَطْعِ الحَطَبِ لِيُؤَمِّنَ لأُمِّهِ الطَّعَامَ، فَكَانَ يَقْسِمُ مَا يَكْسِبُهُ مِنْ بَيْعِ الحَطَبِ ثَلاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْماً لَهُ، وَقِسْماً يَصْرِفُهُ عَلَى أُمِّهِ، وَقِسْماً يَتَصَدَّقُ بِهِ.

وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْسِمُ لَيْلَهُ ثَلاثَةَ أَقْسَامٍ: يَنَامُ ثُلُثاً، وَيَخْدُمُ أُمَّهُ ثُلُثاً وَيَقُومُ لِطَاعَةِ اللهِ الثُّلُثَ الأَخِيْرَ. وَحَيْثُ رَأَتْ أُمُّهُ صَلاحَهُ وَبِرَّهُ بِهَا وَقِيَامَهُ بِخِدْمَتِهَا، قَالَتْ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى أَرضٍ كَذَا فَإِنَّ فِيْهَا بَقَرَةً تَرَكَهَا لَكَ أَبُوكَ، وَأَوْصَانِي أَنْ أُعْطِيَهَا لَكَ حِيْنَ تَكْبَرُ فَاذْهَبْ وَخُذْهَا، فَإِنِ اسْتَعْصَتْ عَلَيْكَ فَأَقْسِمْ عَلَيْهَا بِإِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَإِنَّهَا تَأْتِي إِلَيْكَ طَائِعَةً بِإِذْنِ اللهِ، فَذَهَبَ الغُلامُ وَفَعَلَ كَمَا أَمَرَتْهُ أُمُّهُ، فَجَاءَتْ إِلَيهِ البَقَرَةُ طَائِعَةً، وَقَالَتْ لَهُ: ارْكَبْ عَلَى ظَهْرِي، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ أُمِّي لَمْ تَأْمُرْنِي بِالرُّكُوبِ، فَقَالَتْ لَهُ:

لَو رَكِبْتَ عَلَى ظَهْرِي لَنْ تَقْدِرَ عَلَيَّ أَبَداً.

فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ بِهَا إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ فَبِعْهَا بِثَلاثَةِ دَنَانِيْرَ عَلَى مَشُورَتِي، فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ بِهَا، فَأَتَاهُ مَلَكٌ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ، وَقَالَ لَهُ: بِكَمْ تَبِيْعُهَا؟

فَقَالَ الغُلامُ بِثَلاثَةِ دَنَانِيرَ عَلَى مَشُورَةِ أُمِّي، قَالَ لَهُ: بِعْهَا لِي بِسِتَّةِ دَنَانِيْرَ مِنْ غَيرِ مَشُورَةٍ، فَرَفَضَ الغُلامُ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: بِعْهَا بِسِتَّةِ دَنَانِيرَ عَلَى مَشُورَتِي.

فَذَهَبَ بِهَا، فَأَتَاهُ المَلَكُ مَرَّةً أُخْرَى وَأَعْطَاهُ بِهَا اثْنَي عَشَرَ دِيْنَاراً عَلَى غَيرِ مَشُورَةٍ فَأَبَى، وَرَجَعَ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْبَرَهَا خَبَرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ هَذا مَلَكٌ مِنْ عَنْدِ اللهِ فَاذْهَبْ إِلَيهِ، وَأَقْرِئْهُ السَّلاَمَ وَقُلْ لَهُ: أَنَبِيْعُ البَقَرَة أَمْ لاَ؟.

فَذَهَبَ إِلَيهِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيُقْتَلُ مِنْهُمْ قَتِيْلٌ وَيَتَوَقَّفُ بَيَانُ قَاتِلِهِ عَلَى تِلْكَ البَقَرَةِ فَلاَ تَبِعْهَا إِلاَّ بِمِلءِ مَسْكِهَا[1] ذَهَباً.

فَجَاءَهُ وَفْدُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ فَرَأَوُا البَقَرَةَ عِنْدَهُ، كَمَا رَأَوا أَنَّ الأَوْصَافَ المَذْكُورَة لاَ تَنْطَبِقُ إِلاَّ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ بَحَثُوا عَنْهَا كَثِيْراً فَوَجَدُوهَا عِنْدَهُ وَاشْتَرَوْهَا مِنْهُ بِمِلءِ مَسْكِهَا ذَهَباً، فَكَانَ هَذا تَكْرِمَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَزَاءً مِنْهُ لِذَلِكَ الفَتَى لِصَلاحِهِ وَقِيَامِهِ بِخِدْمَةِ أُمِّهِ. . . وَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَحْفَظُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذُرِّيَّتِهِ وَيَنْعَكِسُ صَلاَحُهُ عَلَى وَلَدِهِ، وَتَشْمَلُهُمْ بَرَكَتُهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ بِشَفَاعَتِهِ فِيْهِمْ، وَرَفْعِ دَرَجَتِهِمْ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ لِتَقَرَّ عَيْنُهُ بِهِمْ وَيَهْنَأَ بِحُسْنِ خَاتِمَتِهِمْ، وَيَطْمَئِنَّ عَلَى مَصِيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

---

(١) المَسْكُ: الجِلْدُ.

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[1].

وَمَعْنَى ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ مَا نَقَصْنَاهُمْ. أَي لَمْ نَأْخُذْ مِنْ عَمَلِ الآبَاءِ وَلاَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً نَجْعَلُهُ لِلأَوْلاَدِ، فَإِكْرَامُ الذُّرِّيَّةِ بِإِكْرَامِ الآبَاءِ بِمَحْضِ فَضْلِ اللهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ.

وَلَقَدْ أَكَّدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذا المَعْنَى بِقَولِهِ تَعالَى حِكَايَةً عَنِ الغُلامَيْنِ اليَتِيْمَيْنِ في سُورَةِ الكَهْفِ، فَقَالَ تَعالَى:

﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾[2].

قَالَ ابنُ كَثِيْرٍ في تَفْسِيرِهَا: حُفِظَا بِصَلاحِ أَبِيْهِما وَلَمْ يُذْكَرْ لَهُمَا صَلاحاً، وَكَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الأَبِ الَّذِي حُفِظَا بِهِ سَبْعَةُ آباءٍ، ثُمَّ قَالَ عَنْ بَيانِ نَوعِ الكَنْزِ: «ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ لَوحاً مِنْ ذَهَبٍ وَفِيْهِ مَالٌ جَزِيْلٌ» وَقَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مُودَعاً فِيْهِ عِلْمٌ وَهُوَ حِكَمٌ وَمَواعِظُ».

٢ ـ رَوَى البُخَارِيُّ في بَابِ [إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَونَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ في الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ

---

(١) الآية /٢١/ من سورة الطور.

(٢) الآية من سورة الكهف.

عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا للهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفْرِجُهَا فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيْرَانِ، وَلي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوالِدَيَّ أَسْقِيْهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ[1] بِيَ الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالحِلاب[2] فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نومِهما وَأَكْرَهُ أَنْ أَبدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ.

فَإِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فَرْجَةً يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ.

فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمائَةِ دِيْنَارٍ.

---

(١) نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ: بَعُدَ.

(٢) الحِلابُ بِوَزْنِ كِتَابٍ: وِعَاءٌ يُوضَعُ فِيْهِ اللَّبَنُ.

فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِيْنَارٍ فَلَقِيْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجليْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفْتَحِ الخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا، فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيْرَاً بِفَرْقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ، قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرَاً وَرَاعِيهَا، فَجَاءَنِي وَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ تِلكَ البَقَرَ وَرَاعِيهَا فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ.

فَهَؤُلاءِ النَّفَرُ الثَّلاثَةُ أَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُمْ وَرَحِمَهُمْ وَكَشَفَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيْهِ مِنَ الحَبْسِ وَالخَوفِ بِفَضْلِ مَا تَقَرَّبُوا بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَمَوَاقِفَ إِنْسَانِيَّةٍ نَبِيْلَةٍ، مِنْهُمْ رَجُلٌ بَارٌّ بِأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَقَفَ نَفْسَهُ لِخِدْمَتِهِمَا وَالسَّهَرِ عَلَى رَاحَتِهِمَا مَعَ وُجودِ أَبْنَاءٍ لَهُ صِغَارٍ يَحْتَاجُونَ إِلَى عَطْفِهِ وَحَنَانِهِ فَأَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ صَالِحَ عَمَلِهِ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً.

٣ ـ وَهَذا خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيهِ السَّلامُ، وَقَدْ عُرِفَ عَنْهُ بِرُّهُ بِأَبِيْهِ رَغْمَ اخْتِلافِهِمَا في الدِّيْنِ وَالعَقِيْدَةِ، نَقْرَأُ ذَلِكَ في كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾[١].

هَكَذا عَبَّرَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيهِ السَّلامُ عَنْ بِرِّهِ بِأَبِيْهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى إِيْمَانِهِ وَخَوفِهِ عَلَيهِ مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ، وَوِلاَيَةِ الشَّيْطَانِ.

فَأَجَابَهُ أَبُوهُ جَوَاباً فَظّاً، كُلُّهُ كُفْرٌ وَجُحُودٌ مُتَجَاهِلاً نُبُوَّتَهُ، مُصِرّاً عَلَى كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، مُنْكِراً عَلَيهِ دَعْوَتَهُ وَنَصِيْحَتَهُ، فَقَالَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ القُرآنُ الكَرِيْمُ:

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[٢].

فَأَجَابَهُ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيهِ السَّلامُ بِجَوَابٍ يُنْبِىءُ عَنْ بِرِّهِ بِهِ،

---

(١) الآيات /٤١ إلى ٤٥/ من سورة مريم.

(٢) الآية /٤٦/ من سورة مريم.

وَإِخْلَاصِهِ في دَعْوَتِهِ، قَائِلاً: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[1].

وَمَعْنَى ﴿حَفِيًّا﴾ عَالِماً لَطِيفاً يُجِيبُنِي إِذَا دَعَوْتُهُ.

٤ ـ وَهَذَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ يُطِيعُ أَبَاهُ في كُلِّ شَيءٍ، وَيُشَارِكُهُ بِبِنَاءِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

وَيَكُونُ لَهُ عَوناً عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ حَتَّى وَلَو كَانَ حَيَاتَهُ. قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

حَيْثُ نَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيهِ السَّلامُ يَقُودُ كَبْشاً أَتَى بِهِ مِنَ الجَنَّةِ

---

(١) الآيات /٤٧ ـ ٤٨/ من سورة مريم.

(٢) الآية /١٢٧/ من سورة البقرة.

(٣) الآيات /١٠٢/ إلى /١٠٧/ من سورة الصافات.

لِيَكون فِدَاءً لإِسْمَاعِيْلَ عَليهِ السَّلامُ جَزَاءَ بِرِّهِ بِأبِيهِ، وَعَونِهِ عَلى تَنْفِيْذِ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَلْ في دُنْيَا النَّاسِ بِرٌّ كَهَذَا؟ وَهَلْ في دُنْيَا النَّاسِ عَوْنٌ لأَبٍ وَتَضْحِيَةٌ وَوَفَاءٌ كَمِثْلِ هَذا.

يَعْرِضُ عَلَيهِ أَبُوهُ أَمْرَاً عَظِيْمَاً غَيرَ مُتَوَقَّعٍ، بَلْ يُمْكِنُ لِلمَرءِ أَنْ يَتَوَقَّعَ كُلَّ شَيءٍ أَمَّا أَنْ يَتَوَقَّعَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَذْبَحَهُ فَهَذا أَمْرٌ بَعِيْدٌ وَمُسْتَحِيْلٌ.

وَمَاذَا كَانَ رَدُّ الابْنِ البَارِّ لأَبِيهِ؟

مَاذَا كَانَ رَدُّهُ لَدَى سَمَاعِهِ هَذا النَّبَأَ الَّذِي يَدُكُّ الجِبَالَ، وَيَخْلَعُ القُلُوبَ مِنَ الصُّدُورِ؟.

لَقَدْ كَانَ جَوابُهُ يَتَمَثَّلُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

إِنَّهُ قِمَّةُ البِرِّ وَالصِّدْقِ وَالوَفَاءِ، وَهُوَ ثَنَاءٌ عَطِرٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِهَذَا الشَّابِّ الَّذِي أَعْطَى البَشَرِيَّةَ كُلَّهَا دَرْسَاً بَلِيْغَاً في (بِرِّ الوَالِدَيْنِ) وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّضْحِيَةِ لِذَلِكَ نَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَى عَلَيهِ في كِتَابِهِ العَزِيْزِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾(٢).

---

(١) الآية /١٠٢/ من سورة الصافات.

(٢) الآية /٥٤/ من سورة مريم.

قَال القُرْطُبِيُّ: خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِصِدْقِ الوعْدِ وَإِنْ كَانَ مَوجُوداً في غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَشْرِيْفَاً لَهُ وَإِكْرَاماً، ثُمَّ قَالَ: «وَصِدْقُ الوَعْدِ مَحْمُودٌ وَهُوَ مِنْ خُلُقِ النَّبِيِّيْنَ وَالمُرْسَلِيْنَ، وَضِدُّهُ وَهُوَ الخُلْفُ مَذْمُومٌ وَذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الفَاسِقِيْنَ وَالمُنَافِقِيْنَ».

وَمَعْنَى «صِدْقِ الوَعْدِ» هُوَ وَصْفٌ مَحْمُودٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لأَنَّهُ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ بِالصَّبْرِ عَلَى الذَّبْحِ فَصَبَرَ حَتَّى كَافَأَهُ اللهُ بِالفِدَاءِ.

وَقِيْلَ: إِنَّهُ وَعَدَ رَجُلاً أَنْ يَلْقَاهُ في مَوضِعٍ فَجَاءَ إِسْمَاعِيْلُ عَلَيهِ السَّلامُ وَانْتَظَرَهُ يوماً وَلَيْلَةً، وَهُنَاكَ أَقْوَالٌ كَثِيْرَةٌ كُلُّهَا تُفِيْدُ وَفَاءَهُ بِالوَعْدِ وَانْتِظَارَهُ أَوْقَاتاً طَوِيْلَةً.. وَاللهُ أَعْلَمُ.

٥ ـ وَهَذا سَيِّدُ الخَلْقِ أَجْمَعِيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي كَانَ بَارّاً بِمُرْضِعَاتِهِ وَأَزْوَاجِهِنَّ، فَهُمْ أُمَّهَاتُهُ وَآبَاؤُهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، كَمَا كَانَ بَارّاً بِأَعْمَامِهِ وَعَمَّتِهِ فَجَمِيْعُهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِليهِ آبَاؤُهُ وَأُمَّهَاتُهُ لأَنَّهُ حُرِمَ أَبَوَيْهِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ.

وَمِنْ صُوَرِ بِرِّهِ.. بِرُّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي تَولَّى كَفَالَتَهُ بَعْدَ مَوتِ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَكَانَ ﷺ مِثَالَ الابْنِ البَارِّ، وَالقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ وَالأُسْوَةِ الحَسَنَةِ لِمَنْ كَانَ يَرجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْراً.

يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيّاً وَاضِحاً حِيْنَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ

ﷺ يُلِحُّ عَلَيهِ أَنْ يَتَلَفَّظَ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيْدِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى خَاتِمَتِهِ وَعَلَى حُسْنِ مَصِيْرِهِ، وَلَكِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ قَالاَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟

وَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ عَلَيهِ الشَّهَادَةَ وَيُعِيْدُ لَهُ تِلكَ المَقَالَةَ حَتَّى كَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ أَبُو طَالِبٍ: أَنَّهُ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِب وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ.

مِنْ أَجْلِ مَوَاقِفِ أَبِي طَالِبٍ النَّبِيْلَةِ، وَمِنْ أَجْلِ حُبِّهِ الشَّدِيْدِ لابْنِ أَخِيهِ لاَ سِيَّمَا أَنَّهُ عَمُّهُ شَقِيْقُ أَبِيْهِ، حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى إِسْلام عَمِّهِ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَافِراً، وَإِنَّهَا لَلْفُرصَةُ الأَخِيْرَةُ لإِنْقَاذِهِ مِنَ النَّارِ، الوَقْتُ قَصِيْرٌ، وَالزَّمَنُ ضَيِّقٌ وَمَحْدُودٌ فَلْيُحَاوِلْ لَعَلَّهُ يَنْجَحُ بِإِقْنَاعِهِ، وَلْيَبْذُلْ جُهْدَهُ مِنْ أَجْلِ مَصِيْرِ عَمِّهِ الَّذِي ضَحَّى بِالكَثِيْرِ مِنْ أَجْلِ مَصِيْرِهِ.

وَبَعْدَ مُحَاوَلاتٍ وَمُحَاوَلاتٍ انْتُزِعَتِ الرُّوحُ مِنَ الجَسَدِ، وَأَحَسَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالأَسَى وَاللَّوعَةِ العَمِيْقَيْنِ فَنَزَلَ القُرآنُ الكَرِيْمُ يَأْمُرُهُ بِالتَّسْلِيْمِ لأَمْرِ اللهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] فَتَعَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَحْمَةِ اللهِ وَطَمِعَ بِفَضْلِهِ

---

(١) الآية / ٥٦/ من سورة القصص.

وَإِحْسَانِهِ بِقَولِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيهِ السَّلامُ لأَبِيْهِ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[1].

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَولَهُ يَنْهَى نَبِيَّهُ وَالمُؤْمِنِيْنَ عَنِ الاسْتِغْفَارِ لِلمُشْرِكِيْنَ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

فَهَكَذَا يَكُونُ البِرُّ، وَهَكَذَا يَكُونُ الوَفَاءُ وَهَكَذَا تَكُونُ التَّضْحِيَةُ لَقَدْ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقَابِلَ حُبَّ عَمِّهِ وَعَطْفَهُ عَلَيهِ بِبِرِّهِ، وَالاطْمِئْنَانِ عَنْ حُسْنِ خَاتِمَتِهِ وَلَكِنْ قَدَّرَ اللهُ لأَبِي طَالِبٍ وَقَضَى عَلَيهِ أَنْ يَمُوتَ كَافِراً، وَلاَ رَادَّ لأَمْرِهِ وَلاَ يُسأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ

وَإِلَى لِقَاءٍ آخَرَ مَعَ (حَقِّ الوَلَدِ)

---

(١) الآية /٤٧/ من سورة مريم.

(٢) الآية /١١٣/ من سورة التوبة.

فجرُ الهُدى والإيمان

من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الآداب

للصغار واليافعين

إليكَ عزيزي القارئَ : بعضَ أحاديثِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآداب ، لتكون ضياء يبدد ظلمات الحيرة والجهالة ، وتبسط أمام الناشئة صوراً رائعة من أدب الرسول الجم وهو القائل : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو القائل أيضاً : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

فاسع عزيزي القارئ - إلى اقتناء هذه المجموعة الجديدة من مجموعات فجر الهدى والإيمان ، تقدمها إليك دار القلم العربي بحلب وهي حريصة على أن تقدم لك كل ماهو مفيد وممتع .

الناشر

I.S.B.N :1-8080-8

دار القلم العربي
للأطفال